Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي
E-ISSN: 2959-6505
Volume 4, Issue 2, 2026
Page No: 23-35
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2025: 0.915 معامل التأثير العربي (AIF) 2025: 0.76

The Sabat within the Urban Fabric of the Old City of Tripoli: An Archaeological – Architectural Analytical Study of Selected Examples

Hanan Mohammed Nafeh*
Department of Islamic Archelogy, Faculty of Archaeology and Tourism, Al-Marqab University, Alkhums, Libya

السباط في النسيج العمراني للمدينة القديمة بطرابلس: دراسة أثرية معمارية تحليلية لنماذج مختارة

حنان محمد نافع*
قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار والسياحة، جامعة المرقب. الخمس، ليبيا

*Corresponding author: hannmohamed161061@gmail.com

Received: February 07, 2026	Accepted: March 22, 2026	Published: April 03, 2026

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This study addresses the phenomenon of the sabat as a traditional urban solution that contributed significantly to shaping the urban fabric of the Old City of Tripoli. The research adopts a historical-architect analytical approach to examine the role of the Sabat in organizing urban space، highlighting its functional، environmental، and social dimensions. The study aims to investigate the origin and development of the Sabat، analyze its architectural characteristics، and evaluate its role in improving the microclimatic particularly in terms of providing shade، regulating movement enhancing privacy، and strengthening. Special attention is given to the relationship between the Sabat and the surrounding urban fabric، emphasizing its contribution to urban cohesion and structural stability within the traditional city. The research relies on a descriptive- analytical methodology supported by historical literature review and documented field surveys، along with an analysis of selected Sabat models within the Old City of Tripoli. The findings indicate that the Sabat is not merely a structural or covered passage، but rather an integrated urban system that reflects a deep understanding of the local environment and societal needs، contributing to the achievement of sustainability concepts. The study concludes that the Sabat represents an architectural and heritage value that can be effectively integrated into contemporary architectural practices، whether in the conservation of historic cities or in the design of sustainable urban environments adapted to local climate and cultural context. Accordingly، the importance of documenting، preserving، and rehabilitating the Sabat as an essential component of the Old Cith of Tripoli، and incorporating it within strategies for urban heritage conservation and sustainable development.

Keywords: Sabat, Architectural Sustainability, Urban fabric, Architectural Analysis, Historic Architecture, Architectural Heritage, Urban Climate, Semi- Covered Spaces.

الملخص:
يتناول هذا البحث ظاهرة الساباط بوصفه حلاً عمرانياً تقليدياً مستداماً أسهم في تشكيل النسيج العمراني للمدينة القديمة بطرابلس، من خلال تحليل معماري تاريخي يبرز أبعاده الوظيفية والبيئية والاجتماعية. يهدف البحث إلى دراسة نشأة الساباط وتطوره، وخصائصه المعمارية، ودوره في تحسين الأداء المناخي للفراغات الحضرية، ولا سيما فيما يتعلق بتوفير

الظل، وتنظيم الحركة، وتعزيز الخصوصية، وتقوية الترابط النسيجي بين المباني. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المدعوم بالقراءة التاريخية والدراسة المعتمدة على التحليل القائم والزيارات الميدانية التوثيقية، مع تحليل نماذج مختارة من الساباطات في المدينة القديمة، وربطها بالسياق العمراني والاجتماعي الذي نشأت فيه. وتظهر نتائج الدراسة أن الساباط لم يكن مجرد عنصر إنشائي أو ممر مغطى، بل منظومة عمرانية متكاملة عكست فهماً عميقاً للبيئة المحلية واحتياجات المجتمع، وأسهمت في تحقيق الاستدامة قبل ظهور المفاهيم الحديثة لها. ويلخص البحث إلى أن الساباط يمثل قيمة معمارية وتراثية يمكن استلهامها في الممارسات العمرانية المعاصرة، سواء في مشاريع الحفاظ على المدن التاريخية أو تصميم بيئات حضرية مستدامة تتكيف مع المناخ والثقافة المحلية، مع التأكيد على أهمية توثيقه وحمايته كجزء أصيل من الهوية العمرانية لطرابلس القديمة، كما تؤكد الدراسة على أهمية الحفاظ على هذا العنصر المعماري وإدماجه ضمن استراتيجيات صون التراث العمراني والتنمية المستدامة للمدن التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الساباط، الاستدامة العمرانية، النسيج العمراني، التحليل المعماري التاريخي، التراث المعماري، المناخ الحضري، الفراغات شبه المغطاة.

المقدمة:

تعد المدينة القديمة بطرابلس إحدى أبرز الحواضر التاريخية في حوض البحر المتوسط، لما تحمله من تراكم عمراني وثقافي يعكس تفاعلاً مستمراً بين الإنسان وبيئته عبر عصور متعددة. وقد أفرز هذا التفاعل منظومة معمارية متكاملة اتسمت بالقدرة على التكيف مع الظروف المناخية والاجتماعية والاقتصادية، وأسهمت في تشكيل نسيج عمراني متماسك ذي هوية واضحة. ومن بين العناصر المعمارية التي تميزت بها هذه المنظومة يبرز الساباط بوصفه حلاً عمرانياً تقليدياً لعب دوراً محورياً في تنظيم الفراغات الحضرية وتحسين أدائها الوظيفي والبيئي.

يمثل الساباط أحد أشكال الفراغات شبه المغطاة التي نشأت استجابة لكثافة البناء وضيق الأزقة في المدن العربية والإسلامية، حيث أسهم في ربط الكتل المعمارية المتقابلة، وتوفير الظل والحماية للمشاة، وتحقيق قدر من الاستمرارية البصرية والإنشائية داخل النسيج العمراني. كما أدى الساباط دوراً مهماً في تعديل المناخ الحضري من خلال الحد من الإشعاع الشمسي المباشر وخفض درجات الحرارة، فضلاً عن تعزيز قيم الخصوصية والتكافل الاجتماعي التي ميزت المجتمعات التقليدية.

وعلى الرغم من الأهمية المعمارية والبيئية للساباط، فإن هذا العنصر لم يحظ بما يكفي من الدراسات المتخصصة التي تتناوله بوصفه مكوناً مستداماً ضمن النسيج العمراني التاريخي للمدينة القديمة بطرابلس، خاصة في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه المدن التاريخية من تدهور عمراني، وضغوط تحديث غير مدروسة، وغياب استراتيجيات توثيق وحماية فعالة. ومن هنا تنبع إشكالية البحث في الحاجة إلى قراءة تحليلية معمقة للساباط، تتجاوز الوصف الشكلي إلى فهم أبعاده الوظيفية والبيئية والتاريخية.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الساباط كحل تقليدي مستدام في النسيج العمراني للمدينة القديمة بطرابلس، من خلال تحليل معماري تاريخي يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، مدعوماً بالمصادر التاريخية والزيارات الميدانية وتحليل نماذج مختارة. ويسعى البحث إلى إبراز دور الساباط في تحقيق الاستدامة العمرانية قبل ظهور المفاهيم الحديثة لها، وإلى استخلاص الدروس والقيم التصميمية الكامنة فيه، بما يسهم في دعم جهود الحفاظ على التراث العمراني، وتوفير مرجع علمي يمكن الاستفادة منه في الممارسات المعمارية والعمرانية المعاصرة.

بهذا الإطار يطمح البحث إلى الإسهام في إثراء الدراسات الأكاديمية المتخصصة في العمارة التقليدية والاستدامة العمرانية، وتسليط الضوء على أحد العناصر المعمارية الأصيلة التي شكلت هوية المدينة القديمة بطرابلس، وأثبتت فاعليتها كحل عمراني مستدام متكامل.

مدخل لدراسة الساباط داخل النسيج العمراني لمدينة طرابلس القديمة:

يعد الساباط أحد العناصر المعمارية التقليدية التي ارتبطت بتكوين النسيج العمراني في المدن العربية والإسلامية، ويظهر بوصفه ممراً أو زقاقاً مغطى يربط بين مبنيين متقابلين أو أكثر، بحيث يشكل الجزء العلوي منه امتداداً معمارياً لأحد المباني أو عنصراً إنشائياً رابطاً بينها (عمورة،2003). وقد ارتبط ظهور الساباط بطبيعة النسيج العمراني الكثيف للمدن القديمة، حيث ضيق الأزقة وتشابك الكتل المعمارية، الأمر الذي فرض حلولاً عمرانية مبتكرة تحقق الاستفادة القصوى من الفراغ المتاح (الحداد، 1990).

ومن الناحية المعمارية، يعتمد الساباط في تكوينه على نظام إنشائي بسيط وفعال، غالباً ما يتمثل في تتابع عقود حجرية نصف دائرية أو مدببة، تنشأ فوق الممر وتعمل على نقل الأحمال الرأسية إلى الجدران الجانبية. ويظهر هذا النظام فهماً تقليدياً متقدماً لآليات البناء. حيث يجمع بين الوظيفة الإنشائية وتشكيل الفراغ العمراني، دون الإخلال بحركة المشاة أو استمرارية النسيج (القصاب،2003).

أما من الناحية العمرانية، فيؤدي الساباط دوراً محورياً في تنظيم الحركة داخل المدينة القديمة، إذ يشكل جزءاً من شبكة الأزقة الداخلية التي تربط بين الأحياء السكنية والأسواق والمنشآت الدينية. ويسهم وجود الساباط في خلق تسلسل فراغي متدرج بين الفضاءات المفتوحة وشبه المغلقة، وهو ما يمنح المدينة طابعها العضوي المميز، ويعزز تجربة الحركة والانتقال داخلها (بيكوك، 1982).

وفي مدينة طرابلس القديمة، يحتل الساباط مكانة خاصة ضمن النسيج العمراني، حيث يظهر بوصفه عنصراً متكرراً في الأزقة الضيقة، ويعكس الخصوصية المحلية للعمارة الطرابلسية. فقد ارتبط الساباط ارتباطاً وثيقاً بالمباني السكنية، إذ استخدم أحياناً كامتداد علوي للدار، بما يحقق زيادة في المساحة المبنية دون التأثير على حركة الممر أسفلها، كما يعزز الخصوصية البصرية لسكان الطوابق العليا (الدباغ، 2007).

وتتجلى الوظيفة البيئية للساباط بوضوح في مدينة طرابلس القديمة، حيث يسهم في توفير الظل وتقليل التعرض المباشر لأشعة الشمس، مما يساعد على تلطيف المناخ داخل الأزقة، خاصة خلال فترات الصيف. كما يعمل الساباط على تحسين الراحة الحرارية للمشاة، ويعد جزءاً من منظومة التكيف المناخي التقليدية التي ميزت المدن التاريخية في البيئات الحارة (Fathy,1986).

إلى جانب ذلك، يؤدي الساباط وظيفة اجتماعية وثقافية، إذ يعكس طبيعة المجتمع التقليدي القائم على الترابط والتجاور، ويجسد مفهوم المشاركة في الفراغ العمراني، كما يسهم في تعزيز الإحساس بالانتماء للمكان، ويعد شاهداً مادياً على أنماط الحياة اليومية داخل المدينة القديمة، حيث لا ينظر إليه كعنصر معماري مستقل، بل كجزء من منظومة عمرانية متكاملة (Hakim,1994).

وعليه، فإن دراسة الساباط داخل النسيج العمراني لمدينة طرابلس القديمة تكتسب أهمية خاصة، بوصفه عنصراً يجمع بين البعد المعماري والإنشائي والعمراني والبيئي، ويعكس قدرة العمارة التقليدية على التكيف مع متطلبات المكان والمجتمع. كما تمثل هذه الدراسة مدخلاً أساسياً لفهم آليات تشكل النسيج العمراني التاريخي، وتوفر أساساً علمياً مهماً لأعمال التوثيق والحفاظ والترميم في المدينة القديمة.

خصائص النسيج العمراني لمدينة طرابلس القديمة:

يتسم النسيج العمراني لمدينة طرابلس القديمة بخصوصية واضحة تعكس تراكماً تاريخياً وثقافياً ممتداً عبر عصور متعددة، حيث تشكل هذا النسيج في إطار المدينة العربية الإسلامية التقليدية التي تقوم على مبدأ الكثافة العمرانية والتداخل الوظيفي بين الاستعمالات المختلفة. وقد أسهمت الظروف التاريخية والاجتماعية والبيئية في صياغة ملامح هذا النسيج، ليظهر في صورة منظومة عمرانية عضوية متكاملة، لا تقوم على التخطيط الهندسي الصارم بقدر ما تعتمد على التدرج والتكيف مع متطلبات الحياة اليومية (Hakim,1994).

تعد الكثافة العمرانية من أبرز خصائص النسيج العمراني لطرابلس القديمة، حيث تتقارب الكتل المعمارية بشكل واضح، وتتشابك المباني السكنية والتجارية والدينية داخل رقعة عمرانية محدودة. وقد نتج عن ذلك ضيق الأزقة وتعرجها، وهو ما أسهم في تقليل الفراغات المفتوحة الواسعة، مقابل زيادة الفراغات شبه المغلقة التي تعزز الخصوصية وتحد من التأثيرات المناخية القاسية (الحداد،1990). ويعكس هذا النمط العمراني فلسفة تقوم على الاستغلال الأمثل للأرض داخل الأسوار، خاصة في ظل النمو السكاني والحاجة إلى الحماية.

كما يتميز النسيج العمراني للمدينة القديمة بشبكة أزقة عضوية غير منتظمة، تتفاوت في أطوالها واتساعها، وتربط بين الفضاءات العامة والخاصة بشكل متدرج، وتؤدي هذه الشبكة دوراً محورياً في تنظيم الحركة داخل المدينة، حيث تنتقل الحركة من الشوارع الرئيسية والأسواق إلى الأزقة الثانوية، ثم إلى الممرات الضيقة المؤدية إلى الوحدات السكنية. ويعد هذا التدرج أحد السمات الأساسية للمدينة الإسلامية، إذ يحقق التوازن بين الحركة العامة والخصوصية السكنية.

ويلاحظ في هذا السياق انتشار عناصر معمارية مميزة، مثل الساباط والممرات المغطاة، التي تمثل حلولاً عمرانية وإنشائية فرضها تلاصق المباني وضيق الفراغات. ويشير ميلودي عمورة في دراسته طرابلس الغرب ومعمارها الإسلامي إلى أن هذه العناصر أسهمت في تعزيز الترابط بين الكتل المعمارية، وفي الوقت نفسه وفرت حماية من العوامل المناخية وخصوصية بصرية للسكان، مما جعلها جزءاً لا يتجزأ من النسيج العمراني لمدينة طرابلس القديمة (عمورة، 2003).

ومن الخصائص البارزة أيضا التدخل الوظيفي داخل النسيج العمراني، حيث تتجاور الوظائف السكنية والتجارية والدينية في إطار واحد، دون فصل صارم بينها. فالأسواق غالباً ما تتداخل مع الأحياء السكنية، وتجاور المساجد والزوايا السكن والأسواق، مما يعكس نمط حياة يعتمد على القرب المكاني وسهولة الوصول. ويؤكد هذا التداخل الطبيعة الاجتماعية للمدينة القديمة، حيث يعد النسيج العمراني انعكاساً مباشراً للعلاقات الاجتماعية وأنماط المعيشة التقليدية (Bianca,2000).

أما من الناحية البيئية، فقد صمم النسيج العمراني لطرابلس القديمة بما ينسجم مع المناخ المحلي، من خلال تقليل تعرض الشوارع والأزقة لأشعة الشمس المباشرة، والاستفادة من الظلال التي توفرها المباني المتقاربة والعناصر المعمارية المغطاة. ويسهم هذا التكوين في تحسين الراحة الحرارية داخل المدينة، ويعد مثالاً واضحاً على التكيف المناخي في العمارة التقليدية (Fathy,1986).

وعليه، فإن النسيج العمراني لمدينة طرابلس القديمة لا يمكن فهمه بوصفه مجرد تجمع للمباني، بل كمنظومة عمرانية متكاملة تشكلت عبر الزمن استجابة لعوامل تاريخية واجتماعية وبيئية. وتبرز دراسة خصائص هذا النسيج أهمية الحفاظ عليه، ليس فقط كتراث مادي، بل كحامل لقيم عمرانية وثقافية تمثل هوية المدينة التاريخية، وتشكل أساساً علمياً مهماً لأعمال التخطيط والحفاظ والترميم في الحاضر والمستقبل.

دراسة ميدانية تحليلية لوظيفة الساباط في المدينة القديمة بطرابلس:

تمهيداً لعرض الوصف المعماري التحليلي لنماذج الساباطات المختارة، تجدر الإشارة إلى أن اختيار هذه النماذج قد تم وفق معايير عمرانية وإنشائية محددة، تضمن تمثيل الخصائص الأساسية لهذا العنصر المعماري ضمن النسيج التاريخي للمدينة القديمة بطرابلس. وبناءً على هذا يعرض فيما يلي وصف تحليلي لنماذج مختارة من الساباطات.

ساباط زنقة حواء عليجة:

شكل رقم (1): ساباط زنقة حواء عليجة
المصدر: تصوير الباحثة

شكل رقم (2): العقود النصف دائرية المتتابعة ساباط زنقة حواءعليجة
المصدر: تصوير الباحثة

يعد ساباط زنقة حواء عليجة، أحد النماذج المعمارية التقليدية البارزة داخل النسيج العمراني المتراص للمدينة القديمة بطرابلس، حيث يظهر كممر مسقوف يمتد فوق الزنقة الضيقة رابطاً بين دارين أو جدارين متقابلين فوق المسار الزقاق شكل (1)، ويتكون الساباط من تتابع منتظم لسبعة عقود نصف دائرية مشيدة من الحجر، تشكل الإطار الإنشائي الحامل، وتعمل على نقل الأحمال الرأسية إلى الجدران الجانبية شكل (2).

ومن خلال الزيارة الميدانية، يتبين أن الساباط يتشكل من تسلسل إنشائي منتظم يضم سبعة عقود نصف دائرية متتابعة، تمتد على طول الممر الضيق، بما يكون فراغاً مغطى يربط بين الجدران المتقابلة على جانبي الزقاق. ويظهر بوضوح اعتماد هذا الساباط على نظام تقليدي قائم على العقود الحاملة، التي تنقل الأحمال العلوية إلى الجدران الجانبية، في انسجام مع طبيعة النسيج العمراني التاريخي للمدينة القديمة. ويكشف السقف كما هو ظاهر في الشكل (3) عن تنوع في تقنيات التسقيف، حيث يختلف تسقيف العقد الأول عن بقية العقود إذ نفذ باستخدام ألواح خشبية طولية ذات مقطع مربع(12×12سم)، جرى توزيعها بانتظام على اتساع الفضاء المعماري للساباط لضمان نقل الأحمال. وقد دعم هذا النظام بقنطرة حديدية واحدة ذات مقطع مستطيل (12×5سم)، وضعت في موضع مركزي لتعزيز استقرار عناصر التسقيف والحد من التشوهات الناتجة عن الاحمال الرأسية.

شكل رقم (3): التسقيف الخشبي لساباط زنقة حواء عليجة
المصدر: تصوير الباحثة

ويعد هذا الأسلوب من أنماط التسقيف الشائعة في العمارة التقليدية، لما يوفره من كفاءة إنشائية في نقل الأحمال وتغطية الفراغات الضيقة، مع مرونة في التنفيذ تتلاءم مع طبيعة الممرات المسقوفة داخل النسيج العمراني التاريخي.

وترتكز هذه العناصر الحاملة على الجدران الجانبية المتقابلة للساباط، حيث جهزت موضع ارتكازها داخل سماكة الجدران الحاملة، بما يضمن توزيع الأحمال بصورة متوازنة. وقد انتظمت المراتب الخشبية في اتجاه عرضي متعامد مع امتداد الساباط، الأمر الذي يسهم في تحقيق توزان إنشائي للأحمال الواقعة أعلاها.

وفوق هذه المراتب، رصت ألواح خشبية بشكل متقارب لتشكل سطحاً أفقياً متماسكاً، يعمل كأساس لبقية طبقات التسقيف. ويراعي في ترتيب التسقيف وتوزيعها انتظامها واتجاها بما ينسجم مع نظام انتقال الأحمال تدريجياً عبر العناصر الحاملة إلى الجدران الجانبية، بما يضمن استقرار البنية الإنشائية للساباط ويحد من مظاهر التشوه البنائي على المدى الزمني.

أما باقي العقود، فيتضح أن تسقيفها يعتمد على نظام تقليدي خفيف قائم على عناصر الزنور المرتكزة على تسعة من جذوع النخيل شكل (4)، وهي تقنية شائعة في العمارة المحلية، تعكس توظيف الموارد الطبيعية المتاحة وملائمتها لطبيعة الممرات الضيقة داخل النسيج العمراني التاريخي.

شكل رقم (4): التسقيف بجذوع النخيل والجريد
المصدر: تصوير الباحثة

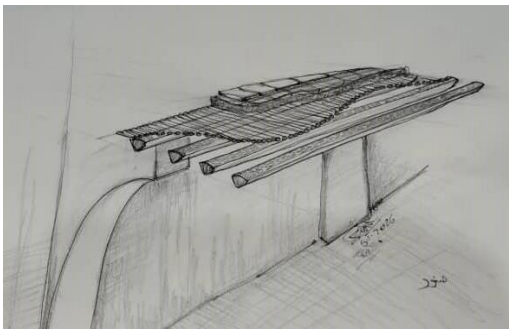

شكل رقم (5): استخدام جذوع النخيل (الزنور)
المصدر: عما الباحثة

ويقوم هذا النظام على استخدام جذوع النخيل والجريد كعناصر حاملة رئيسة، ترص فوقها صفوف من الجريد وسعف النخيل، ترتب بصورة متعاكسة لتعويض غياب الألواح الخشبية المنشورة، وهو ما يعرف محلياً بـ " سقف الزنور" ويعد من أكثر أنماط التسقيف التقليدية انتشاراً في المدينة القديمة شكل (5).

وتبدأ عملية تنفيذ هذا النوع من التسقيف بوضع طبقة من المونة الجيرية فوق الجدران الحاملة، يليها تثبيت عناصر الزنور ذات المقطع المناسب باتجاه الامتداد الطولي للساباط، مع مراعاة توجيهها نحو الجدار الأكثر استقراراً.

وتلاحظ مسافات شبه منتظمة بين هذه العناصر، يقدر تباعدها بما يتراوح تقريباً بين 7و 15سم، بما يحقق توزاناً إنشائياً وانسجاماً بصرياً مع طبيعة الممر المغطى. وفي بعض المواضع، يدعم هذا النظام بعناصر معدنية مساعدة، مثل القناطر الحديدية، بما يعزز استقرار التسقيف وفق الأسلوب البنائي التقليدي في العمارة التاريخية.

ويبرز هذا التكوين الطابع الأثري للساباط بوصفه ممراً معمارياً مغطى، تشكل وفق تقنيات ومواد محلية منسجمة مع النسيج العمراني التاريخي.

ساباط شارع قوس البسطي:

يعد ساباط شارع قوس البسطي نموذجاً واضحاً للساباطات المنتشرة في النسيج العمراني التاريخي للمدينة القديمة بطرابلس، إذ يتكون من سبعة عقود نصف دائرية متتابعة تمتد على طول المسار الضيق، وتربط بين الجدران المتقابلة للمباني السكنية، بما يحقق الاستمرارية العمرانية والإنشائية فوق الشارع، ويعكس هذا التتابع المنتظم للعقود نظاماً بنائياً تقليدياً قائماً على نقل الأحمال العلوية تدريجياً إلى الجدران الجانبية، بما يضمن الاستقرار والتماسك ضمن السياق العمراني التاريخي شكل (6).

شكل رقم (6): ساباط شارع قوس البسطي
المصدر: تصوير الباحثة

ويتميز الساباط بتنوع تقنيات التسقيف داخله؛ إذ اعتمد تسقيف العقد الأول على نظام قبوي شكل (7)، يتوافق مع وظيفة المدخل الانتقالي للساباط ويؤكد الطابع المعماري الأصلي للمسار شكل (8). أما العقد الثاني حتى العقد السابع، فقد استخدم تسقيف خشبي تقليدي يعكس شيوع هذا الأسلوب في معالجة الحيزات المغطاة داخل الأزقة التاريخية، حيث تكون السقف من عشر مراتك خشبية خرط يدوي، ذات مقطع يقارب (10×10سم)، رتبت بشكل طولي فوق الامتداد العام للساباط، بما يحقق انتظاماً بصرياً ووظيفياً في توزيع العناصر الحاملة.

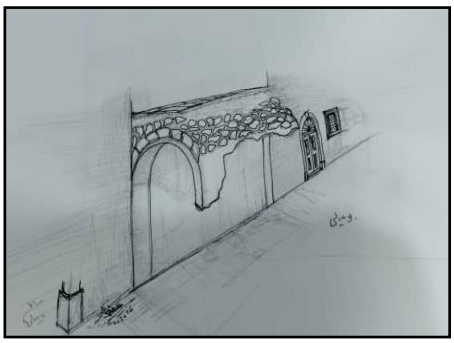

شكل رقم (7): التسقيف القبوي لساباط شارع قوس البسطي
المصدر: تصوير الباحثة

شكل رقم (8): استخدام التسقيف القبوي
المصدر: عمل الباحثة

ويعزز هذا النظام الخشبي استخدام عدد من القناطر الحديدية، بلغ عددها أربع قناطر بمقاطع تقارب(12×5سم)، جرى توظيفها كعناصر مساعدة لدعم التسقيف الخشبي وتعزيز قدرته على تحمل الأثقال، دون الإخلال بالطابع العام للتقنية التقليدية، ويلاحظ أن هذا التداخل بين العناصر الخشبية والمعدنية يعكس مراحل تطور استخدام البنائي داخل الساباط، ويأتي هذا الأسلوب البنائي متوافقاً مع طبيعة الحيز المغطى ووظيفته داخل النسيج العمراني التاريخي، معتمداً على خفة المواد واستمرارية النسق الإنشائي التقليدي، بما يحقق كفاءة بنائية واستدامة مكانية دون المساس بالقيم المعمارية الأصيلة. ويظهر ذلك التزام داخل الساباط بالأساليب التقليدية المتوارثة، بما يتوافق مع طبيعة النسيج العمراني التاريخي ووظيفته.

ساباط زنقة البيليك:

يعد ساباط زنقة البيليك أحد النماذج المعمارية التقليدية البارزة في النسيج العمراني التاريخي للمدينة القديمة بطرابلس، حيث يتجلى بوصفه ممراً مغطى يربط بين الواجهات المتقابلة على جانبي الزنقة، ويؤدي دوراً مناخياً في تنظيم الحركة وتلطيف الأجواء داخل الممر شكل(9).

شكل رقم (9): ساباط زنقة البيليك
المصدر: تصوير الباحثة

يتكون الساباط من نظام تسقيف خشبي يعتمد على خمسة قناطر خشبية رئيسية، يبلغ مقطع كل منها نحو (20×30سم)، موزعة عرضياً على امتداد الزنقة، وتعمل بوصفها العناصر الحاملة الأساسية للسقف. وتدعم هذه القناطر قنطرة حديدية عرضية واحدة، أضيفت لتعزيز التماسك العام للنظام الإنشائي والمساعدة في توزيع الأحمال، في إطار تدخل تدعيمي يتماشى مع ما هو شائع في مراحل الترميم المتأخرة.

ويرتكز فوق هذه القناطر نظام من المراتك الخشبية بعدد عشرة مراتك، ذات مقطع يقارب (10×10سم)، موضوعة بشكل متوازن ومتقارب، وممتدة بعرض الزنقة، ويؤدي هذا الترتيب دوراً تكاملياً في تشكيل سطح تغطية متماسك، يعد قاعدة حاملة لبقية طبقات التسقيف التقليدية شكل (10).

شكل رقم (10): التسقيف الخشبي لساباط زنقة البيليك
المصدر: تصوير الباحثة

ويظهر هذا النظام البنائي اعتماداً واضحاً على المواد المحلية وتقنيات البناء المتوارثة، حيث يحقق توازناً بين خفة العناصر الخشبية وكفاءتها في تغطية الممرات الضيقة، بما يتلاءم مع طبيعة الحيز المغطى داخل الزنقة. كما يعكس انتظام توزيع القناطر والمراتك إدراكاً بنائياً لطبيعة الامتداد الطولي للممر، ويؤكد التزام المعمار التقليدي بمنطق إنشائي بسيط وفعال في آن واحد.

ساباط زنقة بيت المال:

يعد ساباط زنقة بيت المال نموذجاً واضحاً لمعالجة الممرات الضيقة داخل النسيج العمراني التاريخي، حيث يشكل ممراً طولياً مغطى يتكامل إنشائياً ووظيفياً مع المباني المتقابلة شكل (11). ويتميز هذا الساباط بامتداد خطي منتظم، يسهم في تنظيم الحركة وتوفير الحماية المناخية، مع الحفاظ على استمرارية المسار داخل الزقاق دون انقطاع بصري أو فراغي.

يتكون الساباط في بنيته المعمارية من سبعة عقود متتابعة، تقسم إنشائياً إلى قاطعين رئيسيين يعكسان تدرجاً واضحاً في الحلول البنائية. يتمثل في القاطع الأول في نظام تسقيف الخشبي يعتمد على خمس قناطر خشبية ذات مقطع تقريبي(20×30سم) شكل (12)، تعمل كعناصر حاملة رئيسية ترتكز مباشرة على الجدران الجانبية للممر. وتحمل هذه القناطر شبكة من العناصر الثانوية المكونة المراتك والزنور، ما ينتج عنه غطاء خفيف ومتجانس يتوافق مع عرض الممر وامتداده الطولي، ويعكس أسلوباً معمارياً متوارثاً يعتمد على الاستخدام الأمثل للمواد المحلية.

شكل رقم (11): التسقيف الخشبي لساباط زنقة بيت المال
المصدر: تصوير الباحثة

ومع الانتقال إلى القاطع الثاني، يظهر عقد نصف دائري يشكل نقطة تحول إنشائية وبصرية داخل الساباط، إذ يعلوه نظام تسقيف أكثر كثافة، يعتمد على تسعة عشر زنوراً موزعة بانتظام، مع إدماج ثلاث مراتك أكبر مقطعاً(12×12سم) لتعزيز القدرة التحميلية في هذا الجزء شكل (12). ويعكس هذا التدرج في أبعاد العناصر الخشبية ودرجة كثافتها وعياً بنقل الأحمال وتوجيهها نحو الجدران الحاملة، بما يضمن استقرار السقف واستمراريته على طول الممر.

تبدأ عملية التسقيف بتثبيت العناصر الحاملة الأساسية بشكل عرضي، مع مراعاة انتظام المسافات بينها بما يتناسب مع الممر المغطى، وهو ما يضمن توزان التكوين البنائي وتجانسه البصري. ثم يستكمل النظام بوضع العناصر الخشبية الثانوية الدقيقة المقطع باتجاه طولي فوق القناطر الرئيسية، لتشكل سطحاً سفلياً متماسكاً يتميز بخفته النسبية ومرونته، الأمر الذي يجعله ملائماً للامتدادات الطويلة دون فرض أحمال زائدة على الجدران الجانبية التاريخية.

ويلاحظ في بعض المواضع إدماج عناصر مساعدة ذات طبيعة معدنية، وضعت بشكل عرضي أو موضعي، ضمن إطار التدعيم الجزئي، ويعكس ممارسة بنائية متوارثة تقوم على حسن توظيف المواد المتاحة.

وتبقي العناصر الخشبية هي المكون الأساس في تشكيل السقف، بما يعكس قدرة العمارة التقليدية على التكيف مع متطلبات الصيانة أو التدعيم عبر الزمن، مع الحفاظ على الطابع الأصلي للتقنية.

ويغطى هذا النظام الخشبي عادة بطبقات تقليدية عازلة، تسهم في حماية العناصر الإنشائية من الرطوبة والعوامل الجوية، إلى جانب تحسين الأداء الحراري داخل الممر المغطى. كما يسمح هذا النوع من التسقيف بمرور محدود للهواء والضوء عبر الفواصل الدقيقة بين العناصر، ما يعزز الراحة البيئية داخل الساباط دون الإخلال بوظيفته الأساسية كعنصر تغطية.

وبذلك تمثل تقنية التسقيف في ساباط زنقة بيت المال حلاً معمارياً متكاملاً يجمع بين الاقتصاد في المواد، والانسجام مع طبيعة الممر، والاستجابة المناخية، ويقوم على أسلوب بنائي تقليدي يعكس خبرة تراكمية متوارثة شكلت إحدى السمات المميزة لعمارة المدينة القديمة.

شكل رقم (12): التسقيف الخشبي لساباط زنقة بيت المال
المصدر: تصوير الباحثة

ساباط زنقة الفرنسيس:

يعد ساباط زنقة الفرنسيس أحد النماذج المميزة للساباطات ضمن النسيج العمراني التاريخي للمدينة القديمة بطرابلس، حيث يتجلى بوصفه ممراً مغطى ناتجاً عن تقارب الواجهات المعمارية المتقابلة، بما يعكس حلولاً تقليدية لمعالجة الممرات الضيقة ذات الامتداد الطولي والحركة المستمرة. ويؤدي الساباط وظيفة تنظيمية ومناخية في آن واحد، من خلال توفير الظل والحماية، وتعزيز الترابط العمراني بين المباني المجاورة.

يعتمد النظام الإنشائي لساباط زنقة الفرنسيس على منطق بنائي تقليدي يقوم على وجود عقدين نصف دائرين يشكلان العناصر الحاملة الرئيسية، حيث تعمل هذه العقود على نقل الأحمال الرأسية وتوجيهها نحو الجدران الجانبية الحاملة شكل (13) ويلاحظ أن هذه العقود تمثل نقاط انتقال إنشائي وبصري ضمن تسلسل الممر، وتسهم في ضبط الامتداد الطولي للساباط.

شكل رقم (13): ساباط زنقة الفرنسيس
المصدر: تصوير الباحثة

ويعلو الساباط نظام تسقيف خشبي تقليدي يعتمد على جوائز(مراتك) ذات مقطع(12×12سم) تمتد عرضياً عبر الممر، وتستكمل بعناصر خشبية ثانوية أدق مقطعاً بأحد عشر مراتك خشبية ذات مقطع(10×10سم)، رتبت بانتظام لتشكيل سطح تسقيف متماسك شكل (14).

ويعكس هذا التكوين تكاملاً واضحاً بين العقود الحجرية والتسقيف الخشبي، ضمن منظومة إنشائية واحدة تجمع بين الصلابة والديناميكية، وتستجيب لأبعاد الممر ووظيفته الحركية. كما يسهم انتظام توزيع العناصر الخشبية في تعزيز الإيقاع البصري داخل الساباط، بما يدعم الإحساس بالاستمرارية المكانية دون انقطاع.

شكل رقم (14): تسقيف ساباط زنقة الفرنسيس
المصدر: تصوير الباحثة

ساباط حوش القرمانلي:

يعد ساباط حوش القرمانلي نموذجاً للممرات المغطاة داخل النسيج العمراني التاريخي للمدينة القديمة بطرابلس شكل(15)، حيث يشكل عنصراً انتقالياً يربط بين واجهات عمرانية متقابلة ضمن مسار ضيق مخصص لحركة المشاة. ويؤدي هذا الساباط دوراً وظيفياً ومناخياً في آن واحد، من خلال توفير الحماية والظل، مع الحفاظ على استمرارية المسار العمراني.

شكل رقم (15): ساباط حوش القرمانلي
المصدر: تصوير الباحثة

يتكون النظام الحامل للساباط من ثلاثة عقود نصف دائرية مشيدة من الحجر، تعمل كعناصر ارتكاز رئيسية تنقل الأحمال الناتجة عن التغطية العلوية وتوجهها نحو الجدران الجانبية الحاملة. وتتميز هذه العقود بتناسبها مع عرض الممر وطوله، بما يضمن استقرار التكوين المعماري دون اللجوء نظام قبوي كامل.

ويعلو العقود النصف دائرية تسقيف خشبي يعتمد على ست قناطر خشبية رئيسية ذات مقطع تقريبي (20×20سم) شكل(16)، تؤدي دور العناصر الحاملة الأساسية للتغطية. ويلاحظ إدماج قنطرتين حديديتين بمقطع (12×5سم) ضمن هذا النظام، وضعت بشكل عرضي، في إطار تدعيم جزئي يعكس تدخلات لاحقة، دون أن تحدث تغييراً جوهرياً في منطق البناء الأصلي القائم على العناصر الخشبية.

ويكتمل نظام التسقيف بواسطة تسعة عشر مرتكاً طولياً موزعة بانتظام فوق القناطر، تعمل على تشكيل سطح تغطية متماسك ومتصل. ويلاحظ تنوع في طريقة تصنيع هذه العناصر، حيث إن أربع قناطر خشبية منفذة بالخرط اليدوي، مقابل قنطرتين مشغولتين بالخرط الآلي، وهو ما يعكس تداخل مراحل زمنية في أعمال الصيانة، مع الحفاظ على الشكل العام للتقنية التقليدية.

ويظهر هذه التنظيم المتدرج للعناصر الخشبية وطرق توزيعها وارتكازها وعياً بنائياً تقليدياً بطبيعة الممر المغطى، إذ يوازن بين خفة التغطية واستقرارها، ويحد من الأحمال المؤثرة على الجدران التاريخية. كما يسهم هذا النظام في تحسين الخصائص البيئية داخل الساباط، من خلال تقليل التعرض المباشر لأشعة الشمس، وتوفير مناخ معتدل لحركة العابرين.

شكل رقم (16): ساباط حوش القرمانلي
المصدر: تصوير الباحثة

ساباط زنقة بن موسى:

يعد ساباط زنقة موسى ممراً مغطى ضمن نسيج المدينة القديمة، يربط بين واجهتي مبنيين متقابلين ويكسب الزنقة امتداداً شبه نفقي، بما يحقق تدرج فيه الإضاءة الطبيعية من المدخل نحو العمق، بما يحقق بعداً وظيفياً وبيئياً في آن واحد. ويرتكز هذا الساباط على خمسة عقود نصف دائرية متتابعة تعمل كإطارات إنشائية ناقلة للأحمال إلى الجدران الجانبية في حين تتنوع تقنيات التسقيف فيما بينها على امتداد الممر، بما يعكس مرونة الحلول البنائية وتكيفها مع متطلبات الموقع. ففي المسافة الواقعة بين العقد الأول والثاني يظهر تسقيف قبوي متقاطع شكل (17)، ويوفر تماسكاً إنشائياً أعلى ويساعد على توزيع الأحمال بشكل أكثر فاعلية، بينما يغطي الفراغ بين العقد الثاني والثالث قبو طولي نصف دائري يمتد بمحاذاة محور الزنقة، شكل (18) وهو من أكثر أنماط التسقيف شيوعاً في الأزقة الضيقة لما يتيحه من بساطة إنشائية واستمرارية فراغية. أما المقطع الواقع بين العقد الثالث والرابع فيتخذ قبواً طولياً أقل امتداداً مقارنة بالمقاطع السابقة، مع معالجة علوية للسقف تتلاءم مع طبيعة الجزء المغطى والامتداد المحدود للفراغ. ويقوم هذا النوع من التسقيف على تشكيل الأقبية باستخدام الأجر المحروق شكل (19)، جرى ترتيبه وفق المسار الانحناء القبوي بما يضمن تماسك البنية واستمرارية الامتداد على طول الممر المغطى. وترص وحدات الأجر بعناية فوق القوالب المؤقتة، مع الاعتماد على الملاط الجيري في الربط بينها، بما يسمح بتوزيع الأحمال بصورة نحو الجدران الجانبية الحاملة. ويراعي هذا الأسلوب البنائي طبيعة الامتداد المحدود للمقطع، ويعكس معرفة تقليدية بخصائص الأجر وقدرته على التشكل في صيغ منحنية، فضلاً عن ملاءمته للظروف المناخية السائدة داخل الأزقة التاريخية، حيث يسهم في تحقيق قدر من العزل الحراري والاحتواء المكاني، مع الحفاظ على الطابع المعماري المتوارث للساباط.

شكل رقم (17): تسقيف قبو متقاطع
المصدر: تصوير الباحثة

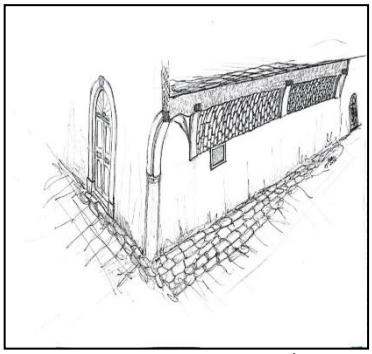

شكل رقم (18): تسقيف قبو متقاطع
المصدر: عمل الباحثة

شكل رقم (19): تسقيف قبوي طولي
المصدر: تصوير الباحثة

المبحث الرابع: الساباط كحل تقليدي مستدام:

تبرز نتائج الدراسة الميدانية التحليلية لنماذج الساباط في مدينة طرابلس القديمة أن هذا العنصر المعماري يعد من أبرز الأمثلة على الحلول العمرانية التقليدية التي تجسد مفاهيم الاستدامة قبل ظهور المصطلح بصيغته المعاصرة. فقد تشكل الساباط استجابة مباشرة لخصوصية النسيج العمراني الكثيف، وضيق الأزقة، والظروف المناخية السائدة، بما ينسجم مع مبادئ العمارة المستدامة القائمة على التكيف مع البيئة وتقليل الاعتماد على الموارد الخارجية (Fathy,1986).

ومن الناحية البيئية، أظهرت الدراسة أن الساباط يؤدي دوراً أساسياً في تحسين الراحة داخل الأزقة، من خلال توفير الظل وتقليل التعرض المباشر لأشعة الشمس، مما يسهم في خفض درجات الحرارة داخل الممرات، ويحسن من ظروف المشاة دون اللجوء إلى وسائل تكييف صناعية. ويؤكد فأثي أن مثل هذه المعالجات المناخية السلبية تعد من أهم ركائز الاستدامة البيئية في العمارة التقليدية بالمناطق الحارة (Fathy,1986).

أما على المستوى العمراني، فيمثل الساباط نموذجاً فعالاً للاستغلال الأمثل للفراغ داخل النسيج العمراني التاريخي، حيث سمح بزيادة المساحة المبنية فوق الممرات دون التأثير على استمرارية الحركة أسفلها. وتنسجم هذه الخاصية مع مفهوم الاستدامة العمرانية القائم على ترشيد استخدام الأرض داخل المدن التاريخية، لاسيما في البيئات المسورة ذات الموارد المحدودة (Hakim,1994). وقد كشفت الدراسة الميدانية أن هذا الدور لم يكن عشوائياً، بل جاء نتيجة فهم تقليدي دقيق لعلاقة المبني بالفراغ العام.

كما يبرز البعد الاجتماعي للاستدامة في الساباط، إذ أسهم في تعزيز الخصوصية البصرية للمباني السكنية المطلة على الأزقة، وحافظ على الفصل التدريجي بين الفضاء العام والخاص، وهو ما يعد من القيم الأساسية في المدينة العربية الإسلامية. ويشير ميلودي عمورة في كتابه طرابلس الغرب ومعمارها الإسلامي إلى أن الساباط في مدينة طرابلس القديمة لم يكن مجرد حل إنشائي، بل عنصراً عمرانياً ارتبط بنمط العيش اليومي، وأسهم في تحقيق التوازن بين متطلبات السكن والحركة داخل النسيج العمراني التاريخي(عمورة،2003).

ومن منظور الاستدامة الإنشائية، أظهرت الدراسة أن اعتماد الساباط على أنظمة إنشائية بسيطة غالباً قائمة على العقود الحجرية، مكنه من الاستمرار عبر فترات زمنية طويلة مع الحد الأدنى من التدخلات، وهو ما يعكس كفاءة استخدام المواد المحلية، وقدرتها على التحمل والتكيف مع الظروف البيئية. ويؤكد ذلك ما أشار إليه بيانكا حول قدرة العمارة التقليدية في المدن الإسلامية على تحقيق الاستدامة من خلال حلول إنشائية بسيطة متجانسة مع السياق المحلي(Bianca,2000)

وعليه، يمكن النظر إلى الساباط بوصفه نموذجاً متكاملاً للاستدامة البيئية، والعمرانية، والاجتماعية، والإنشائية، دون اعتماد على تقنيات حديثة أو أنظمة معقدة. وتبرز أهمية هذا العنصر في كونه يوفر دروساً مستفادة يمكن توظيفها في التخطيط العمراني المعاصر، خاصة في مشاريع الحفاظ والترميم، وإعادة تأهيل المدن التاريخية، بما يضمن استمرارية الوظيفة والهوية في آن واحد.

وانطلاقاً من النتائج التي أبرزت قيمة الساباط بوصفه حلاً عمرانياً تقليدياً مستداماً، تبرز الحاجة إلى وضع هذه النتائج ضمن إطار أوسع لتجارب الحفاظ في المدن التاريخية، وذلك لفهم الكيفية التي تعاملت بها السياسات والممارسات الدولية مع العناصر العمرانية التقليدية المشابهة، ومدى إمكان الاستفادة منها في توجيه آليات الصون والحفاظ داخل النسيج العمراني التاريخي.

تجارب الحفاظ العمراني في المدن التاريخية:

يعد الحفاظ العمراني أحد المحاور الرئيسية في سياسيات إدارة المدن التاريخية، بما يمثله من أداة فاعلة لحماية الهوية العمرانية وضمان استدامة القيم الثقافية والفراغية في مواجهة التحولات الحضرية المتسارعة، وقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطوراً ملحوظاً في مفاهيم الحفاظ، انتقل من التركيز على حماية المباني الأثرية المفردة إلى اعتماد مقاربة شمولية تهتم بالنسيج العمراني المتكامل، بما يشمل الفراغات العامة، وأنماط الاستخدام والسياق الاجتماعي والاقتصادي (Bianca,2000).

أرست المواثيق الدولية، مثل ميثاق البندقية (1964) ووثيقة نارا للأصالة (1994)، الأسس النظرية للحفاظ العمراني، حيث أكدت على أهمية احترام الطابع التاريخي للمباني والأنسجة العمرانية، وضرورة توثيقها علمياً قبل التدخل فيها. وقد أسهم هذا التوجه في تعزيز مفهوم " الحفاظ المتكامل"، الذي يربط بين البعد العمراني والبعد الاجتماعي والاقتصادي، ويعد السكان جزءاً أساسياً من عملية الحفاظ لا مجرد متلقين لها(Jokilehto,1999).

شكلت بعض المدن العربية نماذج بارزة في مجال الحفاظ العمراني، ولا سيما المدن التاريخية ذات النسيج الإسلامي التقليدي. ففي مدينة فاس بالمغرب اعتمدت برامج الحفاظ على إعادة تأهيل النسيج العمراني التقليدي من خلال دعم الحرف المحلية، وترميم المباني باستخدام المواد والتقنيات التقليدية من خلال دعم الحرف المحلية، وترميم المباني باستخدام المواد والتقنيات التقليدية، مع الحفاظ على الاستخدامات السكنية والتجارية الأصيلة، ما أسهم في استدامة المدينة اجتماعياً واقتصادياً (Bianca,2000،). كما ركزت برامج التأهيل على الحفاظ على الأزقة المغطاة والعناصر العلوية التي تحقق التظليل والتهوية الطبيعية، باعتبارها جزءاً أساسياً من الأداء البيئي للمدينة القديمة، وليس مجرد عناصر تراثية ذات قيمة شكلية. وقد ساهم هذا النهج في تحسين الراحة الحرارية وتعزيز استدامة النشاط الاجتماعي والاقتصادي داخل النسيج التاريخي.

أما في مدينة تونس العتيقة، فقد ركزت تجربة الحفاظ على دمج الاعتبارات العمرانية مع الأبعاد الاجتماعية، من خلال تحسين البنية التحتية دون المساس بالخصائص المعمارية، وتشجيع مشاركة السكان في عمليات الترميم، الأمر الذي ساعد على الحد من هجرة السكان والحفاظ على التاريخية((Hakim,1986،).

وفي القاهرة التاريخية، أظهرت مشاريع الحفاظ في مناطق الدرب الأحمر أهمية دمج العناصر المعمارية التقليدية المظللة ضمن خطط إعادة التأهيل، حيث تم التعامل مع هذه العناصر بوصفها أدوات للتحكم المناخي الحضري، تسهم في تقليل الاعتماد على الحلول الميكانيكية وتحافظ على الطابع العمراني الأصيل. وقد أكدت هذه التجارب أن الحفاظ الناجح هو ذلك الذي يربط بين استعادة الوظيفة البيئية وتحسين جودة الحياة للسكان، وهو ما يعزز البعد الاجتماعي للاستدامة.

وفي السياق الخليجي، مثلت تجربة الحفاظ في حي البستكية بدبي نموذجاً لإعادة توظيف المباني التراثية، حيث أعيد استخدام العديد من البيوت التقليدية لأغراض ثقافية وسياحية، مع الحفاظ على الخصائص المعمارية الأساسية، ما يعكس توجهاً نحو ربط الحفاظ بالتنمية الاقتصادية، رغم ما يرافق ذلك من تحديات تتعلق لارتفاع الطابع الاستثماري على حساب الوظيفة السكنية الأصلية (Ragette,2003).

وفي السياق الدولي، تعد تجارب الحفاظ العمراني في المدن التاريخية نموذجاً متقدماً لتكامل السياسات التخطيطية مع الأبعاد الثقافية والاقتصادية، حيث تبنت العديد من الدول تشريعات وآليات تنظيمية صارمة هدفت إلى حماية النسيج العمراني التاريخي وضمان استمراريته الوظيفية. وقد برزت التجربة الإيطالية، ولاسيما في مدن مثل فلورنسا وروما، بوصفها من الأمثلة الرائدة التي اعتمدت مقاربة شمولية للحفاظ، ربطت بين صون المباني التاريخي وإدارة الفضاءات الحضرية المحيطة ضمن إطار تخطيطي متكامل، ما أسهم في الحفاظ على الهوية العمرانية مع السماح بتدخلات معاصرة محدودة تخضع لضوابط دقيقة (Kostof,1991،).

كما تظهر تجارب أخرى في مدن أوروبية، مثل برشلونة، توجهاً نحو دمج الحفاظ العمراني مع إعادة إحياء الفضاءات العامة وتحسين البيئة التحتية والخدمات داخل النسيج التاريخي، دون المساس بخصائصه المورفولوجية الأساسية. وقد أسهم هذا النهج في تعزيز جودة الحياة الحضرية والحفاظ على الحيوية الاجتماعية والاقتصادية للمدن التاريخية، مع تحقيق توازن نسبي بين متطلبات التطوير المعاصر وصون القيم التراثية (Edwards et al,2006).

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن الساباط تمثل عنصراً معمارياً مستداماً بامتياز، وأن إعادة تأهيليه لا ينبغي أن يختزل في المعالجة الشكلية أو الإنشائية، بل يجب أن تقوم على رؤية شمولية تعيد تفعيل وظائفه المناخية والعمرانية والاجتماعية، بما يضمن استمراريته كجزء فاعل من النسيج العمراني التاريخي، ويعزز دوره في تحقيق التنمية الحضرية المستدامة داخل المدن القديمة.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى أن الساباط يمثل عنصراً معمارياً تقليدياً ذا قيمة عمرانية ووظيفية عالية، أسهم بشكل فاعل في تشكيل النسيج العمراني للمدينة القديمة بطرابلس، وعبر عن استجابة واعية لخصوصيات البيئة المناخية والاجتماعية والفراغية. وقد أظهر التحليل المعماري التاريخي، المدعوم بالدراسة الميدانية، أن الساباط لم يكن مجرد ممر مغطي أو معالجة إنشائية عابرة، بل منظومة عمرانية متكاملة أسهمت في تنظيم الحركة، وتحسين الأداء المناخي، وتعزيز التماسك العمراني والخصوصية داخل المدينة التاريخية.

وأظهرت نتائج الدراسة أن تنوع الساباطات بين الشوارع الرئيسية والأزقة الثانوية يعكس مرونة هذا العنصر وقدرته على الاستجابة لاختلاف مستويات الحركة والاستخدام، حيث أدت ساباطات الشوارع العامة دوراً تنظيمياً وبيئياً يخدم الحركة الكثيفة، في حين تميزت ساباطات الأزقة بطابع سكني شبه خاص عزز الإحساس بالاحتواء والراحة الحركية. كما أكدت الدراسة أن اعتماد الساباط على مواد وتقنيات بناء محلية تقليدية أسهم في استمراريته العمرانية، وعبر عن مفهوم مبكر للاستدامة قائم على الاقتصاد في الموارد والتوافق مع البيئة.

إلا أن الدراسة كشفت عن تعرض عدد من الساباطات لتدهور مادي وتدخلات حديثة غير منسجمة مع خصائصها المعمارية الأصلية، نتيجة غياب التوثيق العلمي المنهجي وسياسات الحماية المتخصصة. وانطلاقاً من ذلك، يوصي البحث بضرورة إدراج الساباط ضمن أولويات استراتيجيات الحفاظ العمراني وإعادة التأهيل في المدينة القديمة بطرابلس، والتعامل معه كعنصر بنيوي أساسي لا يمكن فصله عن النسيج العمراني التاريخي.

كما توصي الدراسة بإعداد برامج توثيق شاملة تشمل الرفع المعماري، والتسجيل الفوتوغرافي، وتقييم الحالة الإنشائية، بما يدعم قرارات الترميم القائمة على أسس علمية. وتوكد أهمية ضبط التدخلات المعاصرة، ولا سيما التمديدات الخدمية، بما يحافظ على القيمة المعمارية والبصرية للساباط. وفي السياق نفسه، يدعو البحث إلى الاستفادة من المبادئ التصميمية المستخلصة من الساباط، مثل التظليل وتنظيم الحركة واستثمار الفراغات العلوية، في المشاريع العمرانية المعاصرة ذات المناخ المشابه، بما يعزز مفاهيم الاستدامة والهوية المحلية.

وفي الختام، يفتح هذا البحث آفاقاً لدراسات مستقبلية مقارنة تتناول عناصر عمرانية تقليدية مماثلة في مدن تاريخية أخرى، بما يسهم في تعميق فهم العمارة التقليدية بوصفها مورداً معرفياً حياً يمكن توظيفه في مواجهة التحديات العمرانية الراهنة، ويعزز دور البحث الأكاديمي في دعم سياسات الحفاظ والتنمية العمرانية المستدامة.

المراجع:

1. الشافعي، فريد. (2008). العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
2. وزيري، يحي. (2002) تطبيقات على عمارة البيئة: التصميم الشمسي للفناء الداخلي، مكتبة مدبولي.
3. بن نصرة، عمر. (2012) الكفاءة البيئية للمسكن التقليدي ذو الفناء (دراسة تطبيقية على المدينة القديمة بطرابلس. أكاديمية الدراسات العليا جنزور.
4. عمورة، على الميلودي (1993). طرابلس الغرب ومعمارها الإسلامي. دار الفرجاني طرابلس.
5. Bianca،S. (2000). Urban form in the Arab World: past and present. London: Thames & Hudson
6. Bianca،S. ، & Serageldin، I. (Eds.). (1989). Environmental Design in the Islamic World.
7. Geneva: Aga Khan Award for Architecture.
8. Ben Hamouche، M. (2008). Algiers: Architecture، Urbanism and the Colonial Experience. London: Routledge.
9. Creswell، K.A.C(1958). A Short Account of Early Muslim Architecture Harmondsworth: penguin Books.
10. Edwards، B.، Sibley، M.، Hakmi، M.، & Land، p. (2006). Courtyard Housing: past، present and Future. London: Taylor & Francis.

11. Fathy، H. (1986). Natural Energy and Vernacular Architecture. Chicago: University of Chicago press.
12. Hakim،B.S. (1986). Arabic- lslamic Gities: Building and planning planning principles. London: Kpl Limited.
13. Jokilehto،J. (1999). A History of Architecture Conservation. Oxford:Butterworth- Heinemann.
14. Kostof،S. (1991). The City Shaped: Urban patterns an Meanings Through History. London: Thames& Hudson.
15. Oliver، p. (1997). Encyclopedia of Vernacular Architecture of the World. Cambridge
16. University press.
17. Ragette، f. (2003). Traditional Domestic Architecture of the Arab Region. Stuttgart:Axel Menges.